بسم الله الرّحمن الرّحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de L'enseignement Supérieur Et de la recherche scientifique
جامعة باجي مختار. عنابة
Université Badji Mokhtar - Annaba
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
faculté des lettres et des sciences humaines et sociales
قسم اللغة العربية وآدابها
Département de langue et littérature arabe

محاضرات في اللسانيات الاجتماعية

موجّهة لطلبة

ماستر1/ لسانيات عامّة + لسانيات تطبيقية

إعداد:

د. هبة خيــاري

الموسم الجامعي: 2020/ 2021

برنامج مادّة اللسانيات الاجتماعية

السداسي الأوّل/ ماستر1/ لسانيات عامة + لسانيات تطبيقية

المدخل:

1. مدخل إلى اللسانيات الاجتماعية

المحور الأوّل: الأبعاد الاجتماعية للغة

2. اللغة ظاهرة اجتماعية
3. اللهجات الاجتماعية: المفهوم والأنواع
4. اللهجات الاجتماعية: عوامل النشأة
5. التابوهات/ المحظورات اللغوية
6. المسكوكات اللغوية

المحور الثاني: الأبعاد اللغوية للمجتمع

7. الصّراع اللغوي: العوامل والنتائج
8. الصراع اللغوي: المراحل والأنواع
9. الموت اللغوي
10. الازدواجية اللغوية
11. الثنائية اللغوية
12. التعدّد اللغوي

المحور الثالث: اللغة والدّولة

13. التخطيط اللغوي
14. السياسة اللغوية

ملاحظة:

لقد تمّ اعتماد هذا البرنامج باقتراح شخصي في المواسم الجامعية الآتية:

2016/ 2017 - 2017/ 2018 - 2018/ 2019

وهذه المطبوعة النهائية بعد إجراء بعض التعديلات والإضافات التي اقتضتها المادّة بعد التجربة الميدانية.

المحاضـــــرات

المحاضرة الأولى:

مدخل إلى اللّسانيات الاجتماعية

تسعى هذه المحاضرة إلى التعريف باللسانيات الاجتماعية ***Sociolinguistics***، بوصفها علمًا قائمًا بذاته، يختلف عن اللسانيات العامّة في اهتمامها بالثابت والمتجانس، وينطلق من تقصيرها في العناية بالجانب الاجتماعي للّغة، وإهمالها للأداء الفردي الذي ينعكس من خلال التنوّع في اللّغات واللهجات، فاللّغة ليست مجرّد نظام من الرموز والدّوال بقدر ما هي استعمال لهذه الرّموز والدّوال المختلفة في مواقف اجتماعية مختلفة.

1. اللسانيات الاجتماعية بين المفهوم والمصطلح:

1.1. تحديد المصطلحات:

تثبت جولة بسيطة في عدد من المراجع المختصّة تتعدّد المصطلحات بشأن هذا المجال، ومن أشهر نماذجها نذكر: اللّسانيات الاجتماعية، علم اللّغة الاجتماعي، علم الاجتماع اللّغوي، السوسيولوجيا اللّغوية، السوسيولسانيات، السوسيوألسنية.. وغيرها.

هذه المصطلحات، ورغم استعمالها جميعًا للتعبير عن الدّراسة التي تعنى باللّغة في علاقتها بالمجتمع، فإنّها في الحقيقة تعكس فوضى مصطلحية من خلال كثرة المترادفات للمفهوم الواحد، كما تعكس أيضًا فوضى مفهومية من خلال استعمال المصطلح الواحد للتعبير عن مفهومين مختلفين حقيقة، ذلك أنّ العلاقة بين اللغة والمجتمع تتجاذبها دراستان، أولى نابعة من صلب اللسانيات، وأخرى تابعة لعلم الاجتماع، وعليه فإنّ هذا الترادف سيتراجع حين نعلم أنّها مصطلحات تعبّر عن مفاهيم متقاربة ولكنّها مع ذلك مختلفة.. إنّ هذا الوضع ليس نتيجة لعملية الترجمة إلى اللّغة العربية، وإنّما هو وضع قائم في اللغة الأصلية ذاتها؛ حيث تظهر المؤلفات الغربية تداول عدد من المصطلحات تمّت ترجمتها إلى العربية على النحو الآتي:

– اللسانيات الاجتماعية/ علم اللّغة الاجتماعي

وتستعمل كمقابلات للمصطلحات التالية:

Sociolinguistics
Sociological linguistics
Social linguistics

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ المصطلح الأوّل أكثر رواجًا واستعمالاً من غيره، رغم أنّ جميع المصطلحات تحمل المدلول ذاته.

- علم الاجتماع اللّغوي/ علم اجتماع اللّغة

وهي تقابل في الخطاب الغربي المصطلح الآتي:

The sociology of language

وواقع الحال، أنّ هناك اختلافًا بين هذا الأخير وبين المصطلحات السابقة؛ حيث يذهب ***هدسون*** إلى تعريف علم اللغة الاجتماعي على أنّه "دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع"، في حين يعرّف علم الاجتماع اللغوي على أنّه "دراسة المجتمع في علاقته باللّغة"[1]، وهو ما يعني أنّ الباحث إذا اشتغل في تحليل بنية اللّغة وبيان خصائصها التركيبية والدلالية، استخدم مصطلح علم اللّغة الاجتماعي، لأنّ اهتمامه سينصبّ على الدراسات اللّغوية، أمّا إذا كان سيولي الجانب الاجتماعي اهتمامه الأكبر استخدم مصطلح علم الاجتماع اللّغوي. ويشير ***هدسون*** أيضًا إلى أنّ "الاختلاف بين علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي ليس اختلافًا في العناصر، وإنّما في محور الاهتمام، ويستند ذلك إلى الأهمية التي يوليها الدارس للغة أم المجتمع، وإلى مدى مهارته في تحليل البنية اللغوية أو الاجتماعية. وهناك قدر كبير من التطابق بين هذين العلمينّ، وقد يكون من غير المجدي أن نحاول الفصل بينهما بطريقة أكثر وضوحًا ممّا هو عليه حاليًا "[2].

2.1. تعريف اللسانيات الاجتماعية:

- جاء في معجم ***فرانك نوفو*** (قاموس علوم اللّغة): "اللسانيات الاجتماعية هي مجال من علوم اللّغة يمكن تعريفه بصفة عامّة مع فرانسواز غاديه، كاختصاص موضوعه دراسة اللسان من وجهة نظر استعماله من قبل المتكلمين في سياق اجتماعي ما.."[3].

- يعرّفها ***هدسون*** على أنّها "دراسة للغة في علاقتها بالمجتمع ولذلك فإنّ قيمة علم اللغة الاجتماعي تكمن في قدرته على إيضاح طبيعة اللغة بصفة عامّة وإيضاح خصائص محدّدة للغة بعينها[4].

---

1. **هدسون، علم اللغة الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990، ص17.**
2. **المرجع نفسه، ص18/17.**
3. **فرانك نوفو، قاموس علوم اللغة، ترجمة، صالح الماجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2012، ص383.**
4. **هدسون، المرجع السابق، ص17.**

- يعرّفها ***فيشمان*** (1970) بأنّها" العلم الذي يسعى إلى معرفة من يتكلّم هذه المنوّعة أو تلك؟ ومتى؟ ومع من؟"[5].

- يعرّفها ***ديبوا*** (1973) في معجمه بأنّها ".. ذلكم الجزء من اللسانيات التي يتقاطع ميدانها مع الاثنولسانيات و سوسيولوجية اللغة والجغرافية اللسانية وعلم اللهجات.. ومهمّة السوسيولساني هي إبراز العلاقات الممكنة بين تنوّع الظواهر اللسانية والاجتماعية، وضروب التأثير المتبادل بينهما.. وتأخذ السوسيولسانيات بالحسبان حالة المتكلّم (أصله العرقي، مهنته، مستواه الاجتماعي..) كمعطيات اجتماعية، وتربطها بنوعية إنجازاته اللغوية"[6].

- يعرّفها ***مارسليزي*** (1973) بقوله: " تأخذ السوسيولسانيات بعين الاعتبار الحالة الاجتماعية للمتكلّم، والحالة الاجتماعية للمخاطَب، والشروط الاجتماعية لمقام التواصل (نوع الخطاب)... كما تهتمّ بدراسة التنوّعات الجغرافية، ومشاكل التخطيط اللغوي، حيث يحاول اللساني ورجل التربية والمشرّع البحث عن وسائل لتخفيف أو مراقبة التنوّعات اللغوية"[7].

- ورد في (معجم اللسانيات والصوتيات) لـ ***ديفيد كريستال*** أنّ اللسانيات الاجتماعية فرع من اللسانيات، تدرس جميع جوانب العلاقة بين اللغة والمجتمع، كدراسة الهوية اللغوية للمجموعات الاجتماعية، والمواقف الاجتماعية للغة، والأشكال القياسية وغير القياسية للغة، وأنماط واحتياجات الاستخدام اللغوي الوطني، والأصناف الاجتماعية ومستويات اللغة والأساس الاجتماعي للتعددية اللغوية وما إلى ذلك..[8]

- جاء في كتاب ***بيلون*** و ***فابر*** أنّه "علم يقوم على دراسة الحالة الاجتماعية للمرسل وللمرسل إليه والشروط الاجتماعية لحالة الاتصال "نوع الخطاب"[9].

---

[5]. عن: محمد نافع العشيري: مفاهيم وقضايا سوسيولسانية، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015، ص23.

[6]. المرجع نفسه، ص24/23.

[7]. المرجع نفسه، ص24.

[8] ***.sociolinguistics*** *(n.) A branch of linguistics which studies all aspects of the relationship between language and society. Sociolinguists study such matters as the linguistic identity of social groups, social attitudes to language, standard and non-standard forms of language, the patterns and needs of national language use, social varieties and levels of language, the social basis of multilingualism, and so on.*
David crystal : A dictionary of Linguistics and phonetics, BLACKWELL PUBLISHING, USA, Sixth Edition, 2008, p 440/ 441.

[9]. كرستيان بيلون وبول فابر: توطئة في علم اللغة، ترجمة، توفيق عزيز البزاز، زهران للنشر، الأردن، 2010، ص106.

استنادًا إلى التعريفات السابقة، يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

أ. تتناول اللسانيات الاجتماعية علاقة اللّغة بالمجتمع الذي يستخدمها أداة للتواصل، فيدرس اللّغة بوصفها ظاهرة اجتماعية، بل مؤسسة اجتماعية يقوم بينها وبين المجتمع علاقة تفاعل مشترك.

ب. تدرس اللسانيات الاجتماعية تأثير تركيب المجتمع وفئاته الاجتماعية المتنوعة على مختلف الظواهر اللّغوية، فتبيّن مدى تأثّر اللّغة بالعادات والتقاليد والبنى الثقافية والسياسية والدينية للمجتمعات والأفراد.

ج. اللسانيات الاجتماعية تخصّص علمي يجمع كلاًّ من: اللسانيات، علم الاجتماع، علم السلالات البشرية، علم الجغرافيا البشرية، علم اللهجات..

د. تهتم اللسانيات الاجتماعية بدراسة اللغة المعيارية وغير المعيارية، باعتبارها تنويعات لغوية أنتجها الموقف التواصلي، وذلك بتحكّم عدد من العوامل كالجنس والعمر والطبقة الاجتماعية والتعليم والتخصّص والمهنة والعرق والدين..

2. نشأة اللسانيات الاجتماعية:

تعود نشأة هذا الفرع إلى علماء الاجتماع المحدثين، نظرًا إلى الصلة الوثيقة بين الظواهر اللّغوية والظواهر الاجتماعية. وقد تعاون على النهوض به أعضاء المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي أسّسها عالم الاجتماع **إميل دور كهايم** في أوائل القرن العشرين. انضم إلى هذه المدرسة طائفة من اللّغويين، وعلى رأسهم العالم السويسري **فردينان دوسوسير**، الذي وقف قسطًا من جهوده العلمية على هذه البحوث، في محاضراته المشهورة. ثم العالمان الفرنسيان **أنطوان مييه** و**جوزيف فندريس**، وأصبح هذا الفرع ميدانًا مشتركًا لبحث علماء اللّغة وعلماء الاجتماع.

اجتهد علماء اللّغة أمثال دوسوسير، مايه، فندريس، فيرث، هاليدي، مالينوفسكي، هاريس، وغيرهم.. في إنشاء هذا الفرع الجديد من فروع علم اللّغة، وقد طمح أصحابه إلى اكتشاف المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللّغوي من أجل توضيح موقع اللّغة في الحياة الإنسانية. خلال العقود الخمسة الماضية، اندمجت الدراسات حول العلاقة بين اللّغة والمجتمع لتشكل مجال البحث الأكاديمي المعروف بالسوسيولسانيات/ اللسانيات الاجتماعية، هذا المصطلح الذي طالب **هافر س.كوري** بأولويته لكي يتأسس، وذلك بعد أن تطلّب أمر وضعه (المصطلح) بعض الوقت. لكن في أوائل

سنوات الستينيات بدأ عقد ندوات اللسانيات الاجتماعية، وبدأت تظهر أنطولوجيات المقالات التي تتناول خصائص اللغة وتنادي بإدخال العوامل الاجتماعية في تحليلها، ونشرت مئات من أوراق البحث في كتب حول التنظيم الاجتماعي للسلوك اللغوي، وأصبحت اللسانيات الاجتماعية فرعًا معترفًا به من العلوم الاجتماعية، له مجلاته الدراسية وندواته وكتبه وقراؤه ومقالاته التأسيسية الخاصّة به[10].

وهكذا ظهرت اللّسانيات الاجتماعية بوصفها اتجاهًا في الستينيات من القرن الماضي في الولايات المتحدة، كردّ فعل على اللسانيات البنيوية المغلقة على نفسها واللسانيات التوليدية لـ **نوام تشومسكي** التي نادت بنحو كلّي عالمي. وقد وقف من ورائها دافعًا لها ومحرّكًا كل من **وليام لابوف** و **جون غامبرز** و **ديل هميس** و **غوفمان**. و قد استفاد هذا الاتجاه من دعم بعض تيارات علم الاجتماع.

3. الإشكال النظري للّسانيات الاجتماعية:

تعاني اللّسانيات الاجتماعية من عجز نظري، ويتّجه بعض السوسيولسانيين إلى الدفاع بشدّة عن ثقتهم المزدوجة بالعلوم الاجتماعية واللّغوية لأنّهم يعتبرون ذلك السبب الرئيسي لما تمّ تشخيصه كعجز نظري للسانيات الاجتماعية. لقد كانت اللّسانيات في أوج البنيوية، وخاصّة علم الأصوات، نموذجًا يحتذى به من لدن العلوم الاجتماعية الأخرى، وذلك لصرامتها المنهجية، وفي حدود ذلك عقد كل من علماء اللّغة والاجتماع شراكة، وتحدّدت العلاقة بين اللّسانيات والعلوم الاجتماعية الأخرى بشكل جذري[11].

لقد اتخذت النظرية الاجتماعية طريقها معيرة اهتمامًا محصورًا جدًّا باللّغة، متجاهلة عمومًا دور اللّغة في بناء المجتمع، فـ: **دوركهايم** و **فيبر** و **بارسونز** اهتموا بشكل طفيف باللّغة كأساس اجتماعي، وفي نفس الوقت أدّى ظهور النموذج التوليدي في اللّسانيات بأغلب اللّسانيين إلى أن يديروا ظهورهم للمجتمع ولعلم الاجتماع. وقد انتقد **لابوف** كثيرًا نظرية **تشومسكي**، لأنّها تقوم على

---

[10]. ينظر: فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، ترجمة، خالد الأشهب و ماجدولين النهيبي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2009، ص13.

[11]. ينظر: المرجع نفسه، ص23/17.

فكرة مثالية عن اللغة (المتكلم المستمع المثالي)، ما يعني أنّها ذات طبيعة عقلية فردية وراثية، في حين تعتبرها اللسانيات الاجتماعية ظاهرة اجتماعية مكتسبة، يعني دراسة اللغة داخل المجموعة اللسانية المتكلمة بها، وليس اللغة كما هي على لسان الفرد[12].

هذا و"تعدّ الدراسات الاجتماعية المؤسسة على معطيات لغوية فعلية، مثل دراسات **بيرنشتاين** و**سيكوريل** و**غريمشو** نادرة وغير معتمدة بشكل واسع لتكون لها مساهمة مهمّة في النظرية الاجتماعية. وهكذا، فالتعامل السوسيولوجي مع اللّغة لم ينتج نظرية للاستعمال اللّغوي في سياقات اجتماعية أكثر ممّا قامت به اللّسانيات"[13].

إنّ بناء نظرية كهذه يعتبرها البعض مهمة حيوية لتأسيس اللّسانيات الاجتماعية على دعائم نظرية أكثر صلابة، مع ذلك فقد انقسم السوسيولسانيون/ اللسانيون الاجتماعيون إلى فريقين؛ حيث عبّر **فاسولد** عن تشاؤمه إزاء نظرية موحدة "للسانيات اجتماعية" مشتركة مع نظرية "للسانيات الخالصة"، بينما اعتقدت **رومين** أنّ نظرية كهذه مرغوب فيها وذات جدوى في آن، لأنّها ستشكل بالفعل نواة نظرية للغة "مبنية اجتماعيًا"، أي أنّها ستشكّل نموذجًا بديلاً لدراسة كلّ مظاهر اللّغة.

أمّا من ناحية علم الاجتماع، فقد انتقد **وليامز** اللّسانيات الاجتماعية لفشلها في إنتاج نظريتها الخاصّة، وقد نادى بنموذج صراعي للمجتمع يكون بمثابة حجر الزاوية لنظرية سوسيولسانية/ لسانية اجتماعية تأخذ في الاعتبار علاقات الطبقة الاجتماعية واختلافات السلطة داخل وعبر العشائر اللغوية عند تحليل القوى الاجتماعية المتحكمة في السلوك اللغوي[14].

أخيرًا، ورغم عدم وجود نظرية لسانية اجتماعية/ سوسيولسانية جامعة، فإنّ ذلك لا يعني أنّ البحث اللساني الاجتماعي/ السوسيولساني بحث لا نظرية له، فهناك عدد من النظريات الحيوية التي انبثقت عنه. وإنّ هذا الغياب لا يعود إلى كون البحث اللساني الاجتماعي/ السوسيولساني بحث تجريبي يتعامل مع السلوك اللّغوي القابل للملاحظة، إنّما يعود ببساطة إلى التنوّع الكبير للظواهر التي يبحثها السوسيولسانيون.

---

[12]. ينظر: عبد الكريم بوفرة، علم اللغة الاجتماعي، نقلاً عن/ جميل حمداوي: اللسانيات الاجتماعية، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، 2015/7/2.

[13]. ينظر: فلوريان كولماس، المرجع السابق، ص 21/20.

[14]. ينظر: المرجع نفسه، ص 21.

4. اتجاهات اللسانيات الاجتماعية:

تهتمّ اللّسانيات الاجتماعية باعتبارها فرعًا من فروع علم اللّغة التطبيقي بدراسة مشكلات اللّهجات الجغرافية واللّهجات الاجتماعية والازدواجية اللّغوية والثنائية اللّغوية والتعدّد اللغوي والتأثير المتبادل بين اللّغة والمجتمع.. من جهة أخرى، فإنّ اللّسانيات الاجتماعية تهتمّ أيضًا بدراسة اللّغة من ناحية صلتها بالعوامل الاجتماعية، مثل: الطبقة الاجتماعية، المستوى التعليمي، التخصّص، العمر، الجنس، العرق..

إنّها تخصّص علمي جامع، يرتبط في دراسته بعدد من التخصّصات الأخرى، مثل: اللّسانيات، علم الاجتماع، علم السلالات البشرية، علم الجغرافيا البشرية، وعلم اللّهجات، وهي بذلك تركّز على دراسة العلاقة القائمة بين اللّغة والأفراد من جهة، وبينهما والمعطيات الاجتماعية من جهة أخرى، كأن تدرس نمطًا محدّدًا من الاتّصال بالتركيز على الاختيارات اللغوية للفرد والوضعية الاجتماعية التي يوجد فيها هذا الفرد. فضلاً عن اهتمامها بالسياسة اللغوية ومساهمتها في وضع سياسات التخطيط اللغوي في الدّول المتعدّدة اللغات، لحلّ الصّراعات القائمة أو لترقية لغات أو لإعادة إحيائها بعد الموت.

انطلاقًا ممّا سبق، يمكننا الحديث عن اتجاهين مختلفين للبحث في اللسانيات الاجتماعية هما:

1.4. اللسانيات الاجتماعية الدقيقة: *Micrososiolinguistics*

ويطلق عليها أيضًا: علم اللّغة الاجتماعي الدقيق/ الضيّق، اللسانيات الاجتماعية الضيّقة، والميكرو–سوسيولسانيات. تدخل قضاياها ضمن مجال اهتمام اللغويين وعلماء اللهجات وكل من يتّخذ من اللغة محور اهتمامه، وقد يدخل فيها كثير منهم الدراسة التفصيلية للاتّصال بين الأشخاص، مثل الأفعال الكلامية والأحداث الكلامية وتسلسل الأقوال وأيضًا الأبحاث التي تربط بين التغيرات في اللّغة التي تستخدمها مجموعة من الناس، والعوامل الاجتماعية؛ أي دراسة كيفية تأثير البنية الاجتماعية في الطريقة التي يتكلّم بها الناس، وكيف تتعالق تنوّعات اللغة ونماذج الاستعمال بالخصائص الاجتماعية مثل الطبقة والجنس والسن والتخصص..[15].

---

[15]. ينظر: أحمد شفيق الخطيب: قراءات في علم اللغة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2006، ص69.
و فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، ص 15/14.

2.4. اللسانيات الاجتماعية الموسّعة: *Macrososiolinguistics*

وتعرف أيضًا بعلم اللغة الاجتماعي الموسّع. تدخل قضاياها غالبًا ضمن اهتمامات علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعيين، مثل دراسة اختيار اللّغة في المجتمعات الثنائية اللّغة أو المتعدّدة اللّغة، والتخطيط اللّغوي، والمواقف اللّغوية.. إلخ، وقد تعتبر هذه المواضيع ضمن اللسانيات الاجتماعية الموسّعة، كما قد تعتبر أيضًا جزءًا من علم اجتماع اللّغة أو علم النفس الاجتماعي الخاص باللّغة. إنّها تهتم بدراسة ما تفعله المجتمعات بلغاتها، أي المواقف والارتباطات التي تعلّل التوزيع الوظيفي لأشكال الخطاب في المجتمع، والتحوّل اللغوي، والصيانة اللغوية، والاستبدال اللغوي، وكذلك تحديد وتفاعل العشائر اللغوية[16].

مع ذلك يتّفق العلماء على ضرورة البعدين من أجل فهم كامل للّغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية.

5. موضوعها:

يتحدّد موضوع اللسانيات الاجتماعية بوصفها دراسة علاقة اللغة بالمجتمع في[17]:

- التصنيف الجغرافي للغات واللهجات.
- التصنيف الاجتماعي للغات واللهجات والمنوّعات.
- دراسة الانعكاسات المتبادلة بين البنيات الاجتماعية والبنيات اللغوية.
- الاهتمام بمشكل التعدّد والازدواج اللغويين والبحث في أسبابهما.
- التخطيط اللغوي والسياسات اللغوية.
- دراسة أشكال وأسباب التداخل بين اللغات واللهجات.
- دراسة وضعيات المتكلّمين تجاه اللغات الموجودة (المواقف اللغوية).
- دراسة كيفية توزّع الوظائف السوسيولوجية بين اللغات في سياق معطى.
- دراسة تأثير لغة المحيط السوسيواقتصادي على التحصيل الدراسي والاكتساب اللغوي التربوي.
- دراسة تأثير المحيط السوسيوثقافي على الاستعمالات اللغوية.
- تحليل الخطاب.

---

[16]. ينظر: أحمد شفيق الخطيب: المرجع السابق، ص69.

و فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، ص 15/14.

[17]. محمد نافع العشيري: مفاهيم وقضايا سوسيولسانية، ص26/25.

المحاضرة الثانية:

اللّغة ظاهـرة اجتماعية

تخضع اللّغة باعتبارها نشاطًا من النشاطات الاجتماعية لحاجات النّاس التواصلية، لأجل ذلك ترتبط العلوم اللغوية بالعلوم الاجتماعية ارتباطًا وثيقًا، وتتّصل بها في إطار فهم وتغيير الكثير من الظواهر اللغوية، وذلك في إطار الكشف عن طبيعة العلاقة التي تجمع بين اللّغة والحياة الاجتماعية، وبيان تأثير هذه الحياة الاجتماعية في الظواهر اللّغوية المختلفة.

لقد تنبّه اللّغويون المحدثون إلى هذا الموضوع بعد تطوّر دراسات المدرسة الاجتماعية الفرنسية بزعامة العالم ***دوركايم Durkheim*** في أوائل القرن العشرين، والتي انضم إليها كثير من علماء اللّغة في كلّ من فرنسا وألمانيا وانجلترا وسويسرا والدانمارك وأمريكا. وهو ما جعل اهتمام الباحثين منصبًا على أثر المجتمع ونظمه وطبقاته وحضاراته المختلفة على الظواهر اللّغوية، باعتبار أنّ الإنسان كائن اجتماعي قبل أيّ شيء آخر[1].

1. اللّغة ظاهرة اجتماعية:

ينصبّ اهتمام علم الاجتماع الحديث بدرجة خاصّة على دراسة الظواهر الاجتماعية، والتي تتميّز بصفات عديدة، وأهمّها الخواص الآتية:

"1. أنّها تتمثّل في نظم عامّة يشترك في اتباعها أفراد مجتمع ما ويتخذونها أساسًا لتنظيم حياتهم الجماعية وتنسيق العلاقات التي تربطهم بعضهم ببعض والتي تربطهم بغيرهم.

2. أنّه ليست من صنع الأفراد وإنّما تخلقها طبيعة المجتمع، وتنبعث من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات، ومقتضيات العمران، وهذا ما يعنيه علماء الاجتماع إذ يقرون أنّها من نتاج العقل الجمعي.

3. أنّ خروج الفرد من أيّ نظام منها يلقى من المجتمع مقاومة، تلغي عمله وتعتبره كأنّه لم يكن، أو تحول بينه وبين ما يبتغيه من وراء مخالفته، وتجعل أعماله ضربًا من ضروب العبث العقيم"[2].

---

[1]. ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص126/125.

[2]. يوسف رمضان: اللغة ظاهرة اجتماعية، مجلة الأثر، ورقلة، العدد 9، ماي 2010، ص 212.

تعدّ اللّغة واحدة من أهم هذه الظواهر التي تحتكم لجملة الخصائص السابقة، بل ربّما نقول إنّها شرط أساسي لقيام الجماعة ووحدتها، لما توفّره من إمكانيات للتّواصل والتعبير. إنّها خاصيّة من خصائص المجموعات الإنسانية، ولم يعثر قط على جماعة إنسانية من دون لغة، فحتّى القبائل البدائية في الأمازون لها لغاتها، لا بل حتّى مجتمعات الحيوانات والحشرات تمتلك لغاتها الخاصّة التي تحقّق التواصل بين أفرادها على قلّة مكوّناتها ومحدودية دلالاتها. فاللّغة إذن وسيلة تعبيرية واتّصالية كاملة بالضرورة، كما نلاحظ ذلك في كلّ مجتمع معروف.

لقد ذهب ***دوسوسير*** إلى أنّ اللّغة مؤسسة اجتماعية تكوّن الرابطة الاجتماعية، وأنّها مستقلّة عن أفراد المجتمع الذين يتكلّمونها، وبالرّغم من أنّها عامّة ومشتركة، فهي غير خاضعة لأيّ فرد، بل أنّ كلّ أفراد المجتمع خاضعون لها. إنّها موجودة عند المجموعة الناطقة بها على شكل معجم بالدّماغ، يتوزّع بين أفراد المجتمع. إنّها مشتركة بين الأفراد جميعًا و متوضّعة خارج إرادتهم.

يقول ***فندريس***:" في أحضان المجتمع تكوّنت اللّغة، ووجدت يوم أحسّ النّاس بالحاجة إلى التفاهم بينهم، وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص، الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم، الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرّفاتهم، الإشارة إذا أعوزتهم الكلمة، والنظرة إذا لم تكف الإشارة"[3]. وهو ما يعني أنّها، ومهما كان شكلها؛ كلمات أو إشارات..، تشكّل وسيلة الأفراد الأولى للتواصل والتفاهم في إطار علاقات اجتماعية معيّنة.

وخلاصة القول، تعدّ اللّغة ظاهرة حياتية اجتماعية، وهي من أكثر الظواهر التصاقًا بحياة الأفراد، تخضع لمقاييس المجتمع، وأعرافه، وتقاليده، وثقافته، بل هي الطريق لكشف عادات المجتمع، وتقاليده ومستوياته الثقافية، والمعرفية، والحضارية، فهي قطعة من الحياة بل إنّها صانعة ومبدعة لها، تنشأ في المجتمع، وتسير معه وتتغذى بغذائه، وتنهض بنهوضه، وتركد بركوده..

2. اللّغة والتنوّع:

جاء في الفصل الخامس من كتاب "دليل السوسيولسانيات" المعنون بـ: (العوامل الاجتماعية في التغير اللغوي/ وليام برايت) أنّ هناك واقعان أساسيان للغة، وهما[4]:

---

[3]. جوزيف فندريس: اللغة، ص35، عن رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة..، ص126.

[4]. فلوريان كولماس: دليل السوسيولسانيات، ترجمة: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2009، ص173.

(أ) أنّها تتغير دائمًا، في كلّ مجالات البنى اللّغوية (الأصوات، التركيب، الأسلوب الخطابي، الدلالة، والمعجم).

(ب) أنّها تتغيّر بطرق متباينة في مختلف الأماكن والأوقات. وقد قامت بعض المجتمعات بمجهودات لاختبار درجة تحوّل اللّغة.

نستنتج من هذا الكلام أنّ اللّغة تتغيّر باستمرار من ناحية النظام، أي المستويات اللّغوية، ومن ناحية الزّمان والمكان، وهو ما يولّد اللّهجات المحلية والاجتماعية المتنوّعة.

من هنا، وبما أنّ اللّسان مثله مثل كلّ المؤسسات الاجتماعية يعكس كلّ ما يجري في المجتمع الذي يستعمله، وبما أنّ المجتمعات البشرية تبنى بطبيعتها على التنوّع وتتأسّس على الصراعات والتناقضات التي تتفاعل فتجعل البنى الاجتماعية تعرف حركة وديناميةً مستمرّة ومتواصلة، فإنّ اللّغة لن تكون كيانًا موحدًا، بل ستكون نشاطًا اجتماعيًا متحوّلاً، متنوّعًا، هذا التنوّع ينعكس في المجتمع على محورين[5]:

أ. ***محور الزّمان والمكان***:

وهو المحور الذي يعبّر عن اختلاف اللّغات وتنوّع اللّهجات، وما يتّصل بذلك من تفاعل عبر خط الزّمان أو عبر جغرافية المكان؛ حيث تتفرّع مختلف لغات العالم إلى لهجات تتنوّع بتداخل العوامل الاجتماعية والتاريخية والجغرافية، فاللغة تتنوع بتنوّع الطبقات الاجتماعية وبمرور الحقب الزمنية، وأيضًا بالانتقال من منطقة جغرافية إلى أخرى[6].

---

5. ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، ط2، 2006، ص173/172.

6. ولو حاولنا النظر إلى التنوّع من الناحية التاريخية لقلنا إنّ عربية اليوم تختلف عن عربية العصر الجاهلي والإسلامي، وعربية العصر الإسلامي ذاتها تختلف بالنّظر إلى تفرّعاتها: صدر الإسلام، الأموي، العباسي، العثماني، وهو ما انعكس بوضوح من خلال نتاجاتها الأدبية، وسبب ذلك أنّ كلّ فترة اقتضت التوسّع والهجرة والاحتكاك بالآخر، وهو ما أدّى إلى تأثّر العربية صوتيًا وصرفيًا ونحويًا ودلاليًا ومعجميًا. أمّا من الناحية الجغرافية، فإنّه بإمكاننا القول بانقسام العربية الحديثة إلى لهجات عديدة أشهرها: الخليجية، الشامية، المصرية، المغاربية، وكلّ لهجة منها تنقسم إلى لهجات تخضع للتنوّع القطري، فاللهجة الشامية مثلاً يمكن تقسيمها إلى سورية ولبنانية وأردنية وفلسطينية، وبحجم التشابه القائم بينها جميعًا، يمكننا الحديث عن اختلافات تصنع تميّز كلّ واحدة منها عن الأخرى، وضمن القطر الواحد يمكننا الحديث أيضًا عن التنوّع اللهجي المحلي؛ فكلّ جهة لها لهجتها المغايرة عن الجهة الأخرى في القطر ذاته، ففي الجزائر مثلاً يمكننا الحديث عن لهجة الشرق والوسط والغرب والجنوب، وكلّ منها تتفرّع بدورها إلى لهجات عديدة؛ بحيث تنفرد كلّ ولاية بلهجة تميّزها عن لهجة الولاية المجاورة

ب. *محور التنوّع الاجتماعي*:

ويتعلّق بكل ما يتّصل بالنّظام الاجتماعي من طبقات وشرائح وفئات، بحيث يفترض أنّ ربط التنوّع اللغوي بمتغير اجتماعي كالطبقة الاجتماعية (السوسيواقتصادية) التي تقاس بالاعتماد على الدخل، المهنة، الحرفة، المستوى التعليمي، أو كالشبكة الاجتماعية التي تقاس بالاعتماد على مؤشرات الكثافة والتعددية في العلاقات الاجتماعية للمتكلّم، يمكنه أن يفسّر هذا التنوّع اللغوي على أنّه نتيجة للتنوّع الاجتماعي الطبقي[7]، بناء عليه سيمكننا الحديث عن التنوّع اللغوي على مستويات عديدة؛ المهنة والتعليم والجنس والعمر والطبقة الاجتماعية..؛ حيث يسمح كلّ عامل من هذه العوامل بالتأثير في الخطاب المنتج.

3. *وظائف اللّغة*:

تلعب اللّغة دورًا مهمًّا، فهي تخدم الفرد كما تخدم المجتمع أيضًا، ومن أبرز وظائفها مايلي[8]:

– *وظيفة تواصلية*؛ حيث تؤمّن التواصل بين النّاس وتبادل المعرفة والمشاعر وإرساء دعائم التفاهم والحياة المشتركة، فمن دون لغة لا يمكن أن يَفهم الفرد غيره ولا أن يُفهمه.

– *وظيفة تعبيرية*؛ فهي الوسيلة للتعبير عن حاجات الفرد المختلفة؛ الاجتماعية والفكرية والنفسية والعاطفية، إنّها وسيلته للتعبير عمّا سبق وعمّا يكون وعمّا سيكون.

– *وظيفة ذهنية*؛ حيث يرتبط النمو الذهني بالنمو اللّغوي، وتعلُّم اللّغة الشفوية أو الإشارية يولّد لدى الفرد الصور والمفاهيم الذهنية، إنّها وكما يراها تشومسكي وسيلة أو أداة للتفكير، من دونها لا يستطيع الإنسان خلق الأفكار أو التعبير عنها.

– *وظيفة حضارية*؛ إذ ترتبط اللّغة بأطر حضارية مرجعية ومفاهيم حضارية تضرب في عمق تاريخ المجتمع، فهي التي تحمل أخباره وتنقلها عبر الزّمن لأبنائه ولغيره من المجتمعات.

لها، بل يمكننا الحديث عن التنوّع ضمن الولاية ذاتها، أين يتمّ تسجيل تنويعات واختلافات صوتية وصرفية ومعجمية ودلالية خاصّة.

7. ينظر: دليل السوسيولسانيات، ص118 وما بعدها.

8. ينظر: لطفي بوقربة، محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، معهد اللغة والأدب، جامعة بشار، 2003/2002، ص 09.

– *وظيفة نفسية*؛ فاللّغة تخفّف عن الإنسان من حدّة الضغوطات الداخلية التي تقيّده، والتي تبدو بوضوح في مواقف الانفعال والتأثّر. إنّه ومن خلالها يعبّر عمّا يختلجه من مشاعر وأحاسيس ممارسًا بذلك نوعًا من التفريغ، وهو ما يحقّق له شيئًا من الراحة النفسية.

رغم هذا التنوّع الواضح في الوظائف التي تؤدّيها اللّغة البشرية عمومًا، ورغم أهميّتها جميعًا في تنظيم وتوجيه حياة الفرد والمجتمع، فإنّه يمكننا الحديث عن وظيفتين أساسيتين، تدعم الأولى التفاهم المجتمعي، في حين تدعم الثانية التفاهم العالمي، وهما:

أ. الوظيفة الاجتماعية:

تتوقّف قوّة تماسك أفراد المجتمع بعضهم ببعض على قوّة الروابط التي تجمعهم؛ أي الدين والعرق والتاريخ والعادات والأرض والشخصية والمصير المشترك، وإنّ اللّغة في وظيفتها الاجتماعية مرتبطة بمجمل العناصر المكوّنة للمجتمع، وعليه لا يمكننا الحديث عن الدّين أو العرق أو الهوية بمعزل عن اللّغة. ومن هنا، ستكون وظيفة اللغة " تهيئة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية، فاللّغة أصل وجذر لكلّ ما يمكن أن نتصوّره من عوامل تكوين المجتمع"[9]، ولا يمكن أن يقوم دين أو فكر أو ثقافة أو تاريخ أو أدب دونها، إنّها الشرط الأساسي لقيام الشراكة الاجتماعية، وأهم عنصر لتوحيد المجتمع.

ب. الوظيفة الفكرية:

وهي التي تجعل من اللّغة وسيلة تفاهم عالمية، فهي وسيلة الثقافات، وأساس كلّ نشاط ثقافي، ومن هنا شغلت اللّغة مكانة الصدارة في علم الأنثروبولوجيا[10].

لقد حاول "سابير" وضع نظرية للعلاقات بين الثقافة واللسان واللغة، ويقول إنّه على الباحث ألا يكتفي فقط بالاهتمام باللّغة باعتبارها الموضوع المفضّل للأنثروبولوجيا، لأنّها حقيقة ثقافية قائمة بذاتها، بل عليه أيضًا دراسة الثقافة باعتبارها لسانًا، فالثقافة واللسان يرتبطان ببعضهما ارتباطًا متبادلاً، ذلك أنّ اللسان يقوم بوظيفة نقل الثقافة، كما أنّه في المقابل يتأثر بهذه الثقافة، فاللسان الذي يستخدمه مجتمع معين يعكس الثقافة العامة للسكان، وهو ما يجعل اللغة شرطًا للثقافة[11].

---

9. ينظر: يوسف رمضان: اللغة ظاهرة اجتماعية، ص 213.

10. ينظر: لطفي بوقربة، المرجع السابق، ص 11/10.

ويشير"كلود ليفي شتراوس"[12] إلى الصّلة القائمة بين اللّغة والثقافة، ويعتبر قضية العلاقات القائمة بين اللّغة والثقافة هي من أعقد العلاقات، يقول: "يمكن اعتبار الثقافة كمجموعة من المنظومات الرمزية التي تحتلّ المرتبة الأولى فيها اللغة وقواعد الزواج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين. وهذه المنظومات كلها تهدف إلى التعبير عن بعض أوجه الواقع المادي والواقع الاجتماعي وكذلك العلاقات التي يقيمها هذان النمطان مع بعضهما"[13].

وهكذا فإنّ اللّسان الذي يستخدمه مجتمع معيّن يعكس الثقافة العامّة للسّكان، إنّه جزء من الثقافة، بل هو أحد عناصرها، فالفرد مهما كان انتماؤه المجتمعي، يكتسب ثقافة جماعته عن طريق اللّغة، ودليل ذلك أنّنا نربي أطفالنا باستخدام الكلام، نعلّمهم ونفهمهم وننقل إليهم الأوامر والتجارب والأخبار، نوبّخهم ونلاطفهم ونستعطفهم... كلّ ذلك باستعمال اللّغة.

---

[11]. سابير، إدوارد (1884 –1939) م). عالم أمريكي متخصص في علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وعلم اللغة. بحث في العلاقة بين اللغة والثقافة والشخصية. وساعد في تأسيس فرعين جديدين للبحث في علم الإنسان هما: 1 –علم الإنسان اللغوي الذي يحلل دور اللغة في المجتمعات المختلفة، 2 –علم الإنسان النفسي الذي ينظر في العلاقة بين الثقافة والشخصية. كما قام باستحداث وسائل تمكّن العلماء من إعادة بناء التاريخ الثقافي والحضاري رغم اندثار الآثار المكتوبة. وكانت مساهمته في علم اللغة في دراسة التراكيب اللغوية، وتاريخ اللغات، وتحليل أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات.كما أنّه كان رائدًا في عدة مجالات أخرى جديدة في علم اللغة، منها علم اللغة العِرْقي، الذي يبحث في العلاقة بين اللغة والثقافة، وعلم اللغة النفسي الذي يبحث في العمليات الذهنية المرتبطة باللغة. حوت آثار سابير الكثير من المقالات، وكتابًا واحدًا موسعًا بعنوان اللغة: مقدمة في دراسة الكلام . وعالجت معظم دراساته الوصفية لغات وثقافات مجتمع الهنود الحمر في أمريكا .

[12]. ليفي شتراوس، كلود (1908) م. عالم أنثروبولوجيا فرنسي، طَوَّر المذهب البنيوي في دراسة الثقافة الإنسانية. والمذهب البنيوي طريقة في التحليل، تختبر بنية العلاقات بين الأشياء، أكثر من الأشياء ذاتها ببساطتها. اشتقّ ليفي شترواس المقاربة البنيوية من علم اللغة البنيوي، وهو علم يدرس اللغات من خلال بنية أصواتها وكلماتها وأشهر نظرياته نظرية فرديناند دي سوسير. استخدم المذهب البنيوي لدراسة العلاقات العائلية وأساطير الهنود الحمر، في الشمال والجنوب الأمريكي، وحتى طرائق الطهي. والأساطير عبر العالم، بالنسبة له إنما هي تحولات من أسطورة إلى أخرى. فأساطير المجتمعات المختلفة، قد تبدو مختلفة، لكن إذا كان للأساطير بنية واحدة، فإنها يمكن بالفعل أن تعبر عن الشيء نفسه.

[13]. دوني كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص54.

المحاضرة الثالثة:

اللغة والتنوّعات الاجتماعية

تمهيد:

بخلاف اللسانيات العامّة ممثّلة بفكر دوسوسير ***De Saussure*** الذي جعل اللّغة موضوعها الوحيد والأساس، وتشومسكي ***Chomsky*** الذي تمحورت دراسته على الحدس اللغوي للمتكلّم المستمع المثالي داخل مجموعة لغوية متجانسة، متجاهلاً بذلك كلّ خارج لساني له دور تأثيريٌّ في صناعة وتوجيه الكلام، اعتنت اللسانيات الاجتماعية منذ لحظات نشوئها الأولى عبر أعمال ديل هايمز ***D. Hymes*** و ج.كمبرز ***G. Gumperz*** ولابوف ***Labov*** وفيشمان ***Fishman*** بدراسة التنوّع اللغوي، متجاوزة بذلك النظرة المقتصرة على دراسة النّسق اللغوي وحده، ما يعني تحويل منطلق البحث اللساني من البنية ضمن اللّغة أو اللهجة إلى " جماعة من المتكلّمين يشترك أعضاؤها في المصادر اللغوية، والقواعد التواصلية، لملاحظة الكيفية التي يستخدمون بها تلك المصادر، وغيرها من المصادر غير اللفظية حسب السّياق.."[1].

لقد أدّى الاهتمام بالثابت أو المتجانس، أو البنية الأحادية للّغة إلى إهمال التنوّع في اللغات واللهجات، ومنه في الخطابات بوصفها الإنجازات الفعلية الفردية للمتكلّمين ضمن أوضاع لغوية خاصّة، و"بسبب هذا التركيز على اللاتنوّع، غالبًا ما استعمل اللسانيون معطيات "منتقاة" أو مبتكرة موضوعًا لدراستهم بدل اعتماد المعطيات المستعملة بصفة طبيعية "[2].

1. اللّغة والتنوّع الاجتماعي:

لا يمكننا الحديث عن اللّغة دون الحديث عن ظاهرة التنوّع، إنّها سمة لصيقة بتاريخ تشكّلها وتطوّرها عبر محوري الزّمان والمكان معًا؛ فمن حقبة إلى حقبة تولد لغات وتتغيّر وتندثر أيضًا، ومن إقليم إلى آخر تتفرّع اللغات إلى لهجات متباينة خطابيًا؛ صوتيًا وتركيبيًا ومعجميًا ودلاليًا، أمّا على المحور الاجتماعي فيمكن القول إنّها تتنوّع وتتعدّد بالنّظر إلى الطبيعة الاجتماعية والثقافية والمهنية

---

1. الحسين زاهدي: التواصل نحو مقاربة تكاملية للشفهي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011، ص26.

2. جيمس ميلروي و ليسلي ميلروي: الأنواع اللغوية والتنوّع، ضمن: فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، ترجمة: خالد الأشهب وماجدولين النهيبي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009، ص106.

للناطقين بها. إنّها، وبعبارة أبسط، متجدّدة في أبعادها الثلاثة، تنتج باستمرار خطابات مختلفة باختلاف الجماعات والأفراد والمواقف الاجتماعية التي تحتويهم، وهو ما يلخّصه قول فندريس:" يوجد من اللّغات بقدر ما يوجد من الأفراد"[3]. إذ على الرّغم ممّا تمارسه اللغة من سلطة فإنّ الفرد يبقى قادرًا على استثمارها لإنتاج خطابات تتجدّد بتجدّد المواقف والمؤسّسات الاجتماعية التي تؤطّرها، وهو ما يجعل من الخطاب انعكاسًا للمتكلّم أو بطاقة تعريفية يمكنها تزويد المتلقي بعدد من المعلومات الأساسية عنه، أهمّها:

الانتماء الجغرافي، الطبقة الاجتماعية، المستوى التعليمي والثقافي، الانتماء العرقي، الانتماء الديني، الحالة النفسية والصحية، الجنس، العمر، الطبع، الأخلاق، الذكاء..

يظهر تأثّر اللّغة بهذه العوامل غير اللغوية من خلال التنويعات المسجّلة على مستوى الأداء الفردي، والتي يمكن تتبّعها وتسجيلها على مستوى أداءات المجموعة التي ينتمي إليها هذا الفرد؛ حيث يتحقّق الاتفاق والتواضع بين أفرادها على اعتماد كلمات وعبارات وأساليب معيّنة للتعبير عن دلالات خاصّة جدًا لا يمكن فهمها خارج نطاق المجموعة التي تتبنّاها، وهو ما يؤدّي إلى خلق أداءات متنوّعة ومختلفة تسمّى باللهجات الاجتماعية، وهو ما يعني "..أنّ الاختلاف اللغوي ليس حرًا، ولكنّه مرتبط باختلافات اجتماعية نسقية"[4]؛ بحيث يصبح من الصّعب حسب وليام لابوف ".. أن نفهم تطوّر التغيرات داخل اللغة خارج الحياة الاجتماعية التي تنتج فيها"[5].

2. تعريف اللهجات الاجتماعية:

لابدّ من الإشارة بداية إلى ضرورة التفريق بين اللّهجة اجتماعيًا واللّهجة إقليميًا؛ حيث "يطلق المحدثون من علماء اللّغة على هذا النوع من اللهجات اسم "اللهجات الاجتماعية" ***Dialectes Sociaux*** تمييزًا لها عن "اللهجات المحلية" ***Dialectes locaux***"[6]، التي تخضع في نشأتها إلى عاملي الزمان والمكان، في حين تخضع الأولى إلى".. ما يوجد بين طبقات النّاس وفئاتهم من فروق (..)،

---

[3]. فندريس: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمّد القصاص، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، العدد 1889، ط2014، ص 296.

[4]. محمد نافع العشيري: مفاهيم وقضايا سوسيولسانية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015، ص47.

[5]. المرجع نفسه، ص48.

[6]. علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر..، القاهرة، ط9، 2004، ص 188.

وحاجة أفراد كلّ طبقة إلى دقّة التعبير وسرعته وإنشاء مصطلحات خاصّة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم، وما يلجئون إليه من استخدام مفردات في غير ما وضعت له أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتّصل بصناعاتهم وأعمالهم.."[7].

ما يعني أنّ لكلّ مجموعة من الأفراد المتّحدين في إطار وضع اجتماعي معيّن لغتهم الخاصّة بهم؛ حيث ".. تتوالد الكلمات والعبارات والمعاني الهامشية والألغاز، وطرق التعبير الأخرى، التي تختصّ بهذه البيئات، والتي يصعب إدراكها على من لم ينتم إليها (..) فلكلّ من هذه المجموعات ثروتها اللفظية الخاصّة بها، وهي ثروة تعكس خصائص الموضوعات والمناقشات، التي يتناولها الأعضاء فيما بينهم، وتسهّل اتّصالهم بعضهم ببعض، ولكنّها في الوقت نفسه، تزيد في الهوّة التي تفصلهم عن غيرهم، ممّن لا ينتمون إليهم "[8].

تنشأ هذه اللهجات وتتغيّر بسرعة بين الناطقين بها، قياسًا باللهجات المحليّة التي تحتويهم بوصفهم عناصر من المجموعة الكبرى. ويحدث ذلك عادة بتأثير العوامل الاجتماعية الآتية:

- الطبقة الاجتماعية.
- المستوى التعليمي والثقافي.
- المهن والحرف.
- العمر والجنس.
- البعد العرقي والديني.

إنّها أقسام فرعية داخل اللغة الواحدة، وهي ناشئة عن الظروف الاجتماعية المختلفة من بيئة اجتماعية لأخرى. إنّها ضرب من اللّغة مرتبط بطائفة ما في المجتمع، يتميز بأنّ له خصائص على صعيد اللّهجة والمفردات والنحو وبناء الجمل، والتي يمكن في ضوئها تحديد الطبقة الاجتماعية لمستخدمي ذلك الضرب.

ملاحظات:

---

7. **المرجع السابق، ص 188.**

8. **ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص 153/ نقلاً عن: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1997، ص133.**

– رغم أنّ " الكل يعرف أنّ اللغة متغيّرة "كما لاحظ ***إدوارد سابير***، فإنّ النظرية اللسانية، إلى وقت متأخر، لم تعر إلاّ القليل من الاهتمام للتنوّع، وفي كثير من تخصصات الاكتساب عوملت اللغات على أنّها ذوات غير متغيرة، أو كأنّ التنوّع فيها أمر عرضي أو غير مهم أو غير أساسي. وهكذا لم يكن التنوع في اللغة أو اللهجة وكذا التنوع عبر اللغات مهمًا في النظريات اللسانية المهيمنة؛ دي سوسير، المدرسة الأمريكية، البنيوية، نظرية ***تشومسكي***[9].

– يزداد في العادة الانحراف بين اللهجة الاجتماعية عن أخواتها كلّما كثرت الفوارق بين الطبقة الناطقة بها وبقية الطبقات، أو كانت حياة أهلها قائمة على مبدأ العزلة عن المجتمع أو على أساس الخروج على نظمه وقوانينه، ومنه أنّ لهجات اللصوص والمنحرفين الأكثر انحرافًا عن اللغة الأصلية، وعلى المستوى العام للهجات الاجتماعية[10].

– تؤثر اللهجات الاجتماعية في لغة المحادثة العادية تأثيرًا كبيرًا، فتستعير منها هذه اللغة كثيرًا من التراكيب والمفردات، وهو ما يظهر في لغة المحادثات اليومية من استعارة لمفردات لهجات العمال والحرفيين والمجرمين خاصّة؛ حيث أثبت الأستاذ ***بارتروج*** أنّ الكثير من الاصطلاحات الحديثة في الانجليزية التي يظن الانجليز أنّها مأخوذة من العامية الأمريكية مشتقة من لغة المجرمين الانجليز[11].

3. أنواع اللهجات الاجتماعية:

1.3. اللّغة الخاصّة:

ويقصد باللغة الخاصّة ***langue spéciale*** في العموم ذلك ".. التلوّن الذي لا يستعمل إلاّ من قبل أفراد أو جماعات فرعية، موضوعة "في ظروف خاصّة"، وقد ينطبق الأمر هذا على الحكام والقضاة والرهبان والسحرة ورؤساء القبائل أو العشائر، والجماعات الفرعية لقدامى أو لـ "نبلاء" متعلمين في مواجهة مرؤوسيهم ورعيتهم، أو أيضًا الجماعات الفرعية للراشدين في مواجهة الأولاد.."[12].

---

9. ينظر: دليل السوسيولسانيات، ص105.

10. ينظر: علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، 1983، ص130.

11. ينظر: المرجع نفسه، ص 131.

12. جولييت غارمادي: اللسانة الاجتماعية، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1990، ص53.

وتتميّز هذه اللغة عن غيرها بمعجميّتها الخاصّة؛ بحيث تملك كلّ جماعة منها معجمًا محدودًا يتداوله أفرادها فيما بينهم.

ويعني بها ***فندريس*** تلك اللّغة التي لا يستعملها إلا جماعات من الأفراد وجدوا في ظروف خاصّة. مثال ذلك[13]:

– حالة القاضي والمحضر (مبلغ الأوامر القضائية)، إذ يستعملان في تحرير الأوامر لغة بعيدة جدًا عن اللّغة الجارية وهي اللّغة القانونية.

– لغة الطقوس الدينية، إذ كثيرًا ما يستعمل المؤمن في خطابه لله تعالى لغة خاصّة.

وخلاصة القول هنا، إنّ الكلمات مشتركة بين كلّ الطبقات الاجتماعية، في حين طريقة توظيفها هي التي تختلف، ويقول ***ماريو باي*** بهذا الصّدد:" الصوتيات وأصول الكلمات ملك مشاع لكلّ الطبقات الاجتماعية، على حين تظهر الاختلافات الطبقية، في اختيار المفردات اللّغوية، وطريقة استعمالها"[14].

2.3. اللغات العاميّة الخاصّة:

وتسمّى أيضًا بـ **اللهجات الحرفية *Argot***

وهي اللهجات التي تستخدم للتواصل بين أفراد مجتمع الحرفيين عمومًا، من نجارين ولحامين وصيادين وطباخين ونقاشين.. وغيرهم؛ حيث يكون لكلّ طائفة منهم معجمها اللغوي الخاص المرتبط بحرفتهم ومتطلباتها، والذي لا يمكن فهمه خارج سياق تلك الحرفة.

يقول عنها ***فندريس***: "والواقع أنّها ليست إلاّ اسمًا آخر للّغة الخاصّة، ويوجد من العاميات الخاصّة بقدر ما يوجد من جماعات متخصّصة. والعامية الخاصّة تتميّز بتنوّعها الذي لا يحدّ، وأنّها في تغيّر دائم تبعًا للظروف والأمكنة. فكلّ جماعة خاصّة وكلّ هيئة من أرباب المهن لها عاميّتها الخاصّة"[15]. وبناء عليه، يمكن الحديث عن عامية التلاميذ الخاصّة التي تختلف باختلاف المدرسة

---

[13]. ينظر: فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمّد القصاص، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، العدد 1889، ط2014، ص 314.

[14]. لغات البشر، ص 83/ نقلاً عن: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص 132.

[15]. فندريس: اللغة، ص 315.

والصفّ، كما يمكن الحديث أيضًا عن عامية الثكنات الخاصّة التي تختلف باختلاف الثكنة والأسلحة..[16]

إنّها بتعريف أبسط، اللّهجات التي يتكلّم بها فيما بينهم أهل الحرف المختلفة، وتتميّز بتنوّعها الذي لا يحد، وتغيّرها الدائم تبعًا للظروف الاجتماعية والأمكنة، فلكلّ جماعة خاصّة من أصحاب المهن عاميّتها الخاصّة. مثال ذلك:

- عاميّة التلاميذ الخاصّة.
- عاميّة الثكنات الخاصة التي تختلف باختلاف الأسلحة بل وباختلاف الثكنات أيضًا.
- عامية الخياطات الخاصة وعامية الغسالات وعامية عمال المناجم وعامية الصيادين...

هذا ويسميّها البعض بالرطانة الاجتماعية، التي تشير إلى الأسباب الكلامية الخاصّة المتميّزة بشحنها بمصطلحات وعبارات فنية غير مألوفة وبمفردات خاصّة يوظفها أناس ذوو حرفة مشتركة.

3.3. اللّغة السريّة:

تسميها ***جولييت غارمادي*** بـ: التلونات الطفيلية، التي تعبّر عن التلوّن العامي ***Argot***، حيث ظهرت المفردة ".. في القرن السابع عشر، على ما يبدو، للدّلالة على اللون الذي كانت جماعات الأشرار، المتسوّلين والهامشيين من كلّ صنف، تصوغه بوجه عام لغايات ترميزية أوّلاً. وبهاجس التضامن الداخلي مع الجماعة، وكذلك للدّفاع عن الجماعة في مواجهة القمع الذي كانت تمارسه عليها أغلبية المجتمع"[17].

بعبارة أخرى، يمكننا القول إنّها ".. تلك اللغة التي تستعملها طائفة تخشى سلطة المجتمع، وتهرب من عقابه، وتحاول أن تخفي عنه أمرها"[18]، ما يعني أنّها لغة متداولة بين عدد محدود من الأفراد؛ بحيث تضمن بينهم سريّة التواصل في إطار سياق خاص جدًا، وذلك بما توفّره من اختلافات صوتية ومعجمية ودلالية وتركيبية.

وحقيقة الأمر أنّه رغم انتشارها بين أفراد هذه الفئة فإنّها لا تقتصر عليهم وحدهم، بل يمكن تمثّلها من خلال النماذج التواصلية الآتية:

---

16. ينظر: المرجع نفسه، ص 316.

17. جولييت غارمادي: اللسانة الاجتماعية، ص72/71.

18. هادي نهر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية، ط1، 1988، ص166.

- لغة المخابرات
- لغة الصاغة (بائعو الذهب)
- لغة السحرة والمشعوذين
- لغة تجارة المخدرات
- لغة الملاحة الجوية
- لغة الألخميادو لمسلمي الأندلس المقهورين (الموريسكو)
- لغة المخنثين
- بعض لغات القناصين والهاكر بعالم الانترنت.

تنتج هذه المجموعات التي تولّد هذه التلوّنات وتستعملها خطابات خاصّة بها وحدها، تقوم على معجمية متخصّصة، ويمكن الافتراض أنّها تعمل أوّلاً مع نحو وعلم أصوات اللغة العادية، ومع الألوان الشعبية، واللهجات الإقليمية، وفي أوضاع الثنائية اللغوية واللّهجات المحليّة.. الخ[19]، إذ لا تعارض من الناحية اللسانية الصّرف بين استعمال هذه المعجمية الخاصّة وقواعد اللّغة أو اللهجة المحلية؛ الصوتية والصرفية والنحوية.

وتسمّى هذه اللغة أيضًا بـ: عاميّة الأشقياء الخاصّة، لكونها لغة طبقة أو طبقات اجتماعية تمارس نشاطها في الخفاء والسريّة التامّة ويعبّر عنها أحيانًا بـ: العالم السّفلي، إذ يوظفها المجرمون والخارجون عن القانون، مثل اللّصوص وتجار المخدرات والمدمنين والمهرّبين.. وبعض زعماء العصابات حين إصدار حكم بالقتل أو التهريب ينفذها أعوانهم خارج السّجن، وذلك عن طريق رسائل مشفّرة[20].

---

19. المرجع السابق، ص 72.
20. ينظر: المرجع نفسه، ص 215.

المحاضرة الرابعة:

اللّهجات الاجتماعية: عوامل النّشأة

1. عوامل نشأة اللهجات الاجتماعية:

بعد تعريف اللهجات الاجتماعية، والحديث عن أهم أنواعها، نصل إلى ضرورة تبيان أهم العوامل المساهمة في نشأة هذه اللهجات، التي تنتج أساسًا عن التغييرات الاجتماعية التي تؤدّي بدورها إلى إحداث تغييرات لغوية، تظهر خاصّة من خلال المعجم اللغوي؛ حيث نجد أنّ مفردات أي لغة، عبر العصور المختلفة، "تتطابق تمامًا مع الحاجات الاجتماعية للشّعب المستعمل لتلك اللغة"[1]. بناء عليه، فإنّه بالإمكان القول، إنّ أيّ تطوّر يصيب المجتمع فإنّه سيصيب اللغة في المقابل، ودليل ذلك ألفاظ الحضارة التي تدخل اللغة بين فترة وأخرى لتعبّر عن المكتسبات الحضارية والمنتجات العلمية الحديثة. وهكذا، فإنّ ".. علاقة اللغة بالمجتمع متينة ومتداخلة، فالنّظم السياسية والاجتماعية، والتقاليد الثقافية، والقيم الأخلاقية تترك آثارها في اللغة التي تتغذّى من صميم التقاليد والأعراف والعقائد السّائدة فيه، لذلك رأى سوسير أنّ لعادات أمّة ما تأثيرًا في لغتها، فضلاً عن أنّ هذه اللغة هي التي تصنع الأمّة إلى حدّ كبير"[2].

تتجسّد هذه الأفكار بوضوح من خلال تسليط بعض الضوء على أهم العوامل المسؤولة عن نشأة اللهجات الاجتماعية، وهي[3]:

1.1. التعليم والمهنة والطبقة الاجتماعية:

إذ من المهمّ أن نعلم مثلاً ما إذا كانت مجموعة من الناطقين يشتركون في بعد أو مستوى تعليمي واحد، لما لذلك من تأثير في العادات الكلامية لهم.

مثال ذلك ما أثبته بعض المسح اللّهجي، من أنّ بين الذين تركوا النظام التعليمي في سن مبكرة ، ميل عظيم لاستعمال صيغ غير شائعة نسبياً في كلام الذين واصلوا تعليمهم حتى الجامعة، وتفسير

---

1. ألكسندر كوندراتوف : أصوات وإشارات، ترجمة: إدور يوحنا، وزارة الثقافة، بغداد، د.ط، 1971، ص82/ نقلاً عن: أليس كوراني: اللغة والمجتمع عند العرب (الجاحظ نموذجًا)، مجد، بيروت، ط1، 2013، ص 14.
2. أليس كوراني: اللغة والمجتمع عند العرب (الجاحظ نموذجًا)، ص 15/14.
3. ينظر: جورج يول، معرفة اللغة، ترجمة: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء، الاسكندرية، 1999، ص 241/ 245.

ذلك فيما يبدو أن الشخص الذي يقضي وقتاً طويلاً خلال الكلية أو الجامعة سيميل إلى التحدث بملامح لغوية مأخوذة من معايشته الطويلة للغة المكتوبة.

وممّا يتّصل بالتعليم، الاختلافات الوظيفية، والطبقة الاجتماعية، التي لها بعض التأثير على كلام الأفراد، فلكلّ وظيفة قدر معيّن من اللّغة والمصطلحات التي يصعب فهمها على غير أهلها. فللنادل لغته ومصطلحاته الخاصّة، وكذلك هو الأمر بالنسبة للصياد والطبيب والمحامي والبائع المتجوّل والأستاذ...

مثال ذلك:

– لقد ربطت دراسة مشهورة قام بها العالم الأمريكي ***لابوف*** (*1972*) بين عدد من العناصر، من مكان الوظيفة والمستوى الاجتماعي الاقتصادي، بالنظر إلى فروق النطق بين البائعين في ثلاثة محلات بمدينة نيويورك، ساكس (مستوى راق) ، ماكيز (مستوى متوسط)، وكلينز(مستوى متواضع)، وقد وجدت بالفعل فروق قياسية.

– وفي الإنجليزية البريطانية حيث تتسع فروق الطبقة الاجتماعية في الكلام بصورة ملحوظة أكثر من الولايات المتحدة فإنّ استعمال *[n]* مقابلاً لصوت *[j] ing* ـ في نهاية كلمات مثل يمشي *Walking* ، يذهب *going* ، يشيع بين الناطقين من الطبقة العاملة في تنوعات محلية متعددة أكثر من الناطقين من الطبقة المتوسطة[4].

2.1. العمر و الجنس:

رغم صحّة ما سبق، فإنّه حتى داخل مجموعات من الطبقة الاجتماعية نفسها، يمكن أن نجد فروقاً أخرى، تبدو مرتبطة بعوامل مثل أعمار الناطقين أو جنسهم، فكثير من صغار الناطقين الذين يعيشون في منطقة معينة يتأملون نتائج المسح اللّهجي لمنطقتهم ويزعمون أنّ أجدادهم كانوا يستعملون تلك الألفاظ، ولكنّهم هم لا يستعملونها، فالتنوّع بالنسبة للعمر ملحوظ عبر فترة مابين الأجداد والأحفاد، فبينما يظل الجد يتحدث عن الراديو فإنّه سيحيره بعض كلام أحفاده الذين يحبّون أن يستمعوا إلى الـ mp3 – أو mp4 ...

وأمّا التنوعات المتّصلة بالجنس، فهي بؤرة اهتمام كثير من الأبحاث الحديثة، ومن النتائج العامّة لعدد من المسح اللّهجي أن الناطقين من الإناث أميل من الذكور إلى استعمال صيغ الوجاهة مع

---

4. **المرجع السابق، ص 243/242، بتصرّف.**

تساويهما في البعد الاجتماعي العام. وفي بعض الثقافات توجد فروق أكثر تحديداً بين كلام الذكور والإناث، فقد ثبتت اختلافات بيّنة في النطق بين كلام الذكور والإناث في بعض اللغات الهندية الأمريكية الشمالية، مثل جروس فنتر وكواساتي، وعندما صادف الأوروبيون بالفعل –لأوّل مرة– المفردات المختلفة لنطق الذكور عن الإناث بين هنود الكاريبي، اعتقدوا أنّ الأجناس المختلفة تستعمل لغات مختلفة، وما وجد في الواقع ما هو إلا صورة من التنوع حسب جنس المتكلم [5].

1. 3. البعد العرقي:

إذ تظهر داخل المجتمع فروق أخرى بسبب الأبعاد العرقية المختلفة. مثال ذلك[6]:

– إنّ كلام المهاجرين الجدد وكذلك أطفالهم غالباً ما يحمل ملامح مميّزة، وفي بعض المناطق التي يوجد بها ولاء لغوي قوي للّغة الأصلية للمجموعة، فإنّه سيُنقل عدد كبير من الملامح إلى اللّغة الجديدة.

– كلام الأمريكان السود، ويطلق عليه إنجليزية السود، لهجة اجتماعية واسعة الانتشار، غالباً ما تتجاوز الفروق الإقليمية، وعندما تقع مجموعة داخل المجتمع تحت شكل من أشكال العزل الاجتماعي، مثل ما عاناه الأمريكان السود من التعصب والتمييز العنصري طوال تاريخهم، فإن فروق اللّهجة الاجتماعية تصبح أكثر تحديداً، ومن الوجهة الاجتماعية فإنّ المشكلة القائمة هي أنّ تنوّع الكلام الناتج يمكن أن يصمّم بأنّه "كلام رديء".

ومن أمثلة ذلك الغياب الكثير للرابطة (صور فعل الكينونة) في إنجليزية السود، مثل:

they mine ⟵ إنّهم لي

you crazy ⟵ أنت مجنون

وتتطلب الإنجليزية الفصحى استعمال صيغة (*are*) في هاتين العبارتين، ومع ذلك فهناك لهجات إنجليزية أخرى كثيرة لا تستعمل الرابطة في مثل هذه التراكيب.

– وكذلك فإنّ عددًا كبيرًا من اللّغات (مثل العربية والروسية) لها تراكيب مشابهة بدون الرابطة، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تكون إنجليزية السود" رديئة" إلاّ أن تعتبر الروسية "رديئة" والعربية"رديئة"، ولأنّها لهجة فهي ببساطة ذات ملامح تختلف كلّ الاختلاف عن الفصحى.

---

[5]. **ينظر: المرجع السابق، ص 243.**

[6]. **المرجع نفسه، ص 244، بتصرّف.**

2. مثال تطبيقي: اللغة السّرية أنموذجًا

يظهر الجدول الآتي نماذج من اللغة السريّة، ويعكس قيامها شبه المطلق على الانزياحات الدّلالية؛ حيث تنحرف أغلب دلالات كلماتها عن دلالتها المعجمية المعروفة محليًّا، لتكتسب دلالات أخرى مغايرة ترتبط عادة بعالم الجريمة والمخدرات والفجور والسجون.

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
دفرة	10 دج	ظفر	كمية مخدرات	اروي	الحس/ الشغب
مساكة	1000 دج	16/14/12	أنواع سيوف	عرف	نوع مخدرات
بريكه/ أرنب	مليون	سكر	مخدرات	المشطة	صفيحة المهلوسات
العرڤ	مليار	زرقة/ حمرا	أنواع مخدرات	حنة	المخدرات
الخضرة	2000 دج	شيرة	مخدرات	العربية	نوع مخدرات
الكِمْيَة	المخدرات	صوطا	امرأة	الفراشة	حقيبة المال أو المخدر
كبسولة	حبوب مهلوسة	لقراط	رجل	غطس	اسرق
الحبر	المال المزوّر	بنت خالتي	الزطلة	الضياف	رجال الدرك
طاح	قبض عليه	فَمّح	اطحن المخدرات	مذرحة	البضاعة المغشوشة
الكحلة/ المزيونة	المسدّس	لحباب	الشرطة القضائية	التفون	البضاعة الرديئة
رفعة	شمّة	ميديتي	ثقيل الدّم	كعبة وحدة	خفيف الدم
الطالب	الشخص المتديّن	تشكلني	تورطني	خابط	السكران
سنكوحة	50 دج	هوبلة	200 دج	الفرينة	الهيروين
دتشي	100 دج	أنسولين	ابرة مخدّرة	لحمر	النقود
حجّة	حبس طويل	قطعة	لفظة	العَطْ	المال الكثير
بيت قدّور	السجن	الكمّون	المال	معَطعِط	الثري
التحريبش	التعاطي	البهلوان	سكران المهلوسات	الكيميا	الزطلة
عطشنا	الرغبة في الشرب	زربيّة	ورقة الماصة (شمة)	قمحة	القليل من الشيء
الكاجة	الزنزانة	عبروق	المخادع	مِرحي	مسطول
مِريول	زير النساء	مريولة	العاهرة	عدس	حبوب مهلوسة
عْبارة	فتاة جميلة	محلِّب	شخص فطن وذكي	رطاريط	متخلفون وعنيفون
حْفَنْتي	رجل مخنث	أنّوش	صغير السن	تكربس	رسب دراسيًا
رِخْمة	سيّئة	الطُّرطة	الشرطة	الدّقس/ الدقسة	ابني/ ابنتي
دوزة	خمر	المنشار	النمّام	مونغو	المغفل
المسنوط	الأصفاد	مقرمد	الأبله/ العفوي	البارون	زعيم تجار المخدرات

يمثّل هذا الجدول جزءًا مهمًّا من المعجم اللّغوي الخاص بأفراد فئة المنحرفين في الوسط العنابي في السنوات الأخيرة (2013/ 2014/ 2015)، ويمكن القول إنّها تعبّر عن دلالات خاصّة تعبّر عن حياة هذه الجماعة، وتضمن التّواصل السريّ بينهم، إذ نلاحظ أنّها تنحرف وبوضوح عن الدّلالات المعجمية المعروفة في اللهجة المحليّة العنابية.

فالظفر والعرف والسكّر والمشطة والضياف والفرينة والقطعة والعدس... وغيرها، كلّها كلمات متداولة في اللهجة المحليّة، وفي غيرها من لهجات الجزائر، لكن للتعبير عن دلالات مغايرة تمامًا، لا تمتّ بصلة إلى هذه الدلالات الإجرامية الخاصّة بالمنحرفين، وهو ما يعني أنّ الكلمات تنزاح باتّفاق بينهم لتغطية عدد من الحقول الدّلالية وأهمّها:

– حقل السُّكر:

{خابط، البهلوان، عطشنا، الكمية، كبسولة، رفعة، التحربيش، ظفر، سكر، زرقة، الحمرا، شيرة، أنسولين، الكيميا، الفرينة، دوزة، قمّح،...}

– حقل الأمن:

{طاح، الكحلة، المزيونة، حجّة، بيت قدور، الكاجة، لحباب، الضياف، الطرطة، المسنوط...}

– حقل الأشخاص:

{الطالب، مريول، صوطا، لقراط، عبروق، عبارة، محلّب، رطاريط، الدّقس، أنّوش، مديدتي، البارون، الصنايعية، المعلّم، الشيخ، الهاي هاي، النْسا...}

– حقل الإجرام:

{الدوز 12، الكاتورز 14، السيز 16، غطّس، اروي، يعزِّر... }

ويلاحظ من خلال الجدول السابق، الذي قدّم حقيقة مجموعة من النماذج فقط ولم يأت على كلّ ما تستعمله هذه الفئة من المتكلّمين، أنّ حقل السّكر أكثر الحقول حضورًا وسيطرة على خطابات هذه الفئة، ويمكن القول إنّه يحتوي على الكثير من التفاصيل المرتبطة أساسًا بـ:

– النّوع:

الحنّة، العَرْبيّة، العنبر، الحشيشة، العرف، الدفرة، البولينا، الأورو، الشوكولاطه، روش، الشيرا، لمعسّل، السوال، ڤارو دوبل كانو، مدام كوراج، ڤارو عقّار، الحمرا، الزرقا، الدمعات، الباتاكس، مسحوق الكافار، ريفوتريل، برشام ديازيبام، تيميستا، دوبل 6...

– الصفة:

البهلوان، مذرحة، التفون، خابط، مرحي، رخمة،...

– الكميّة:

طرف، قمحة، مورصو، مشطة، فاية، ظفر،...

لقد كانت هذه عيّنة بسيطة من اللغة السريّة المتداولة بين فئة الشباب المنحرف، وقد حاولنا من خلالها إبراز طريقة استخدام هذه الفئة للإمكانات اللغوية المعجمية والدّلالية لتكوين لغة خاصّة بها؛ بحيث نسمعها ولكن لا يفهمها حقيقة إلاّ من كان منتميًا لجماعتها المتكلّمة[7].

3. لهجة الفرد: *Idiolect*

إنّ كلّ عناصر التنوّع اللهجي الاجتماعي والإقليمي/ الجغرافي تتجمّع بشكل أو بآخر في كلام كلّ فرد منّا، مشكّلة ما يسمّى بـ: لهجة الفرد، والتي تدلّ على اللهجة الشخصية لكلّ فرد ناطق بلغة ما، وفضلاً عن العوامل السابقة الذّكر، فإنّه يمكننا الحديث هنا عن عوامل أخرى، مثل: طبيعة الصوت، موقف الاستعمال، الذكاء، الحالة العاطفية.. وكلّ ما يسهم في إبراز الملامح المميّزة في كلام الفرد ويجعله متميّزًا عن غيره من المتكلّمين[8].

---

7. لمزيد من التفاصيل بخصوص اللغة السريّة وخصائصها اللغوية والأسلوبية، ينظر:

هبة خياري، الخصائص الأسلوبية في اللهجات الاجتماعية.. قراءة في الخطابات السرية، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة، مجلد 11، عدد 1، 15 مارس 2019، ص 405/ 417.

8. جورج يول، معرفة اللغة، ص 245، بتصرّف.

المحاضرة الخامسة:

التابوهـــات/ المحظورات اللغوية

يختار المتكلم كلماته وعباراته وفق الموقف الاجتماعي، فهو عندما يبني قولاً ما تعبيرًا عن معنى ما " يمكن أن يكون اختيار السمات اللغوية، وشكلها ووظيفتها، مشروطًا بجملة المعطيات غير اللسانية، تلك الماثلة في الواقع الخارجي، والماثلة أيضًا في فكرة المتكلّم أو في مشاعره ذاتها"[1]. وعليه فإنّ اختياره للكلمات سيخضع لعناصر، مثل: الموقف، العاطفة، الذكاء، الطبقة الاجتماعية، جنس المتكلمين..؛ بحيث يفرض كلّ عنصر منها استعمالات لغوية خاصّة، تعكس اختلافات واضحة بين المتكلمين، فأحاديث الرجال مثلاً فيما بينهم تختلف عن أحاديث النساء وإن تشابهت المواضيع. إذ "قد يحدث في بعض الشعوب التي يقلّ فيها اختلاط الرجال بالنساء، أو يعيش فيها كلا الجنسين بمعزل عن الجنس الآخر تحت تأثير نظم دينية أو تقاليد اجتماعية، أن تختلف لهجة الرجال عن لهجة النساء اختلافًا يسيرًا أو كبيرًا"[2]. وهكذا فإنّ المجتمع سيفرض بعض المقاييس لرسم حدود التعبير بين المتكلمين؛ فتسمح باستعمالات لغوية وترفض أخرى، تحت مسمّى الجائز والمرفوض، أو ما يعبّر عنه في اللسانيات الاجتماعية بـ: **التابو/ المحرّم اللّغوي** أو اللساني.

1. التابو/ المحظور اللغوي: *Linguistic Taboo /Taboo linguistique*

لقد اتفقت الدراسات اللسانية الاجتماعية ".. على أنَّ المصطلح الدالّ على هذه الظاهرة اللغويّة الطبيعيّة هو المصطلح اللسانيّ الاجتماعي *Linguistic Taboo* الذي ترجم إلى مصطلح المحظور، واللامساس، والمحرّم أو الحرام، والتابو، وهو مصطلح دالّ على المرفوض استعماله دلاليًا لأسباب ثقافيّة، أو دينيّة، أو اقتصادية، أو اجتماعيّة، أو نفسيّة، أو فكريّة، أو ..إلخ، وهي الأسباب التي تدلّ على أنَّ المصطلح يحمل محتوى معرفيًا ما، يكتفي بإرجاع الحظر إلى الدلالة لا إلى نسق القوانين النحويّة والصرفيّة والصوتيّة والإملائيّة"[3].

---

1. جولييت غارمادي: اللسانة الاجتماعية، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1990، ص 84.
2. علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، 1983، ص 135.
3. حسن حسين الملخ: المحظورات النحوية في اللغة العربية، دراسات. العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 39، العدد 2، 2012، ص 254.

وجاء في المعجم الموحد لمصطلحات التواصل اللساني أنّ المحظور اللغوي يعني ".. الكلمات والعبارات التي تخضع لقيود اجتماعية صارمة تحول دون استعمالها"[4]. وهو ما يعني أنّ ما يحدّد المرفوض في الاستعمال اللغوي لا يستند إلى قواعد لغوية، وإنّما ينبع من صميم الخلفية الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الأخلاقية أو الفكرية للمجتمع، أيّ مجتمع لغوي كان، إذ ليس الحظر اللغوي " قصرًا على لغة ما، وإنّما هو شائع في جميع اللغات، وهو يعبّر عن مواقف البشر من الأمور والأشياء، كما يدلّ على نفسية الشعوب وعقلية الأمم"[5].

إنّ التابو/ المحظور اللغوي مفهوم لغوي مشترك، لكنّه في المقابل يخضع لعقلية المجتمع التي تحدّده وتنظمه وفق مقاييسها الأخلاقية والدينية والاجتماعية الخاصّة بها دون غيرها من المجتمعات، ولذلك سنجد أنّ ما يعتبر من المحظور اللغوي في مجتمع ما قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر، وقد تمنع جماعة لغوية استعمال كلمة أو عبارة ما في حين تسمح مجموعة أخرى باستعمالها. وهكذا فـ "إنّ مقاييس الكلام المحظور تختلف باختلاف العصور، وباختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد، كما تختلف باختلاف الجماعة اللغوية ولغتها، فاللغة اللاتينية لا تتردّد في التعبير عن الأشياء المحظورة بأسمائها المباشرة من دون اللجوء إلى تحسين اللفظ (*euphemisme*)، أمّا اللغة الانجليزية، فإنّها أقرب ما تكون إلى اللغة العربية في تعاملها مع هذه الظاهرة"[6]. وتتصل هذه الكلمات بالعادة بـ: العيوب، العاهات الجسمية، أسماء الأمراض، أجزاء معينة من جسم الإنسان. كما ترجع أسباب الحظر اللغوي إلى دوافع ثلاثة تتمثّل في[7]:

الخوف والفزع – الكياسة والتأدّب – الخجل والاحتشام.

2. التلطّف اللغوي:

في مقابل المحظور اللغوي يلجأ المجتمع إلى وضع قواعد تستبدل من خلالها الكلمات المحرمة لخدشها للحياء أو تعارضها مع الدين أو أخلاق المجتمع عمومًا بأخرى يقبلها الذوق العام، "ويعدّ

---

4. مكتب تنسيق التعريب، **المعجم الموحد لمصطلحات التواصل اللساني، سلسلة المعاجم الموحدة، رقم 37، الرباط، 2011**، مطبعة النجاح، مادّة ***Linguistic Taboo***

5. ينظر: عبد الرحمن دركزللي، **الظواهر اللغوية الكبرى في العربية، دار الرفاعي/ القلم، سوريا، 2006، ص 139/13**.

6. حسن كراز: **اللسانيات الاجتماعية..، دار الرافدين، بيروت، ط1،2018، ص50**.

7. **المرجع نفسه، ص 51**.

هذا الأسلوب الوجه المشرق لظاهرة اللامساس أو المحظورات اللغوية؛ حيث يرى بعض علماء اللغة المحدثين أنّ استبدال الكلمات اللطيفة الخالية من أيّ مغزى سيء أو مخيف بكلمات اللامساس أو المحظورات اللغوية يعدّ ضربًا من ضروب التلطّف أو حسن التعبير أو تحسين اللفظ"[8].

فالمجتمعات تحسّن ألفاظها تجنبًا للوقوع في المحظور أحيانًا، أو تجنّبًا للإحراج أو تلطّفًا أو احترامًا أحيانًا أخرى، ويحدث ذلك من خلال اعتماد الجانب البلاغي كاستثمار الكناية خاصّة.

ويعبّر ***محمود السعران*** عن فكرة **التلطّف اللّغوي** بـ: **مقاييس اللياقة وعدم اللياقة**، فيقول: "إنّ مقاييس اللياقة وعدم اللياقة في المجتمع الكلامي الواحد متعدّدة ومعقّدة وممّا يزيد البحث فيها صعوبة أنّها تتداخل أحيانًا مع ما ذكرناه من اعتبارات الخوف الداعية إلى التحريم والتقنيع"[9].

3. نماذج من المحظور اللغوي:

تختلف العبارات والكلمات المحظورة من مجتمع لغوي إلى آخر، وذلك باختلاف العصور واللهجات المحلية واللهجات الاجتماعية، وأهم صورها وفق ما يورده محمود السعران[10]:

– أنّه يسوّغ بين جماعة الذكور أو بين جماعة الإناث النطق بعبارات وكلمات لا يسوّغ نطقها لو ضمّ المجلس شخصًا أو أكثر من الجنس الآخر، ويعني أنّ هناك عبارات وكلمات لا يسمح بها في المجلس المختلط.

– بعض ما يستعمله الزوجان لا يسمح بأن يستعمله أي منهما في سياقات أخرى.

– يمنع الصغار عادة من التفوّه بكلمات يتفوّه بها الكبار دون حرج.

– بعض ما تنطقه النساء يمنع على الرجال، وبعض ما ينطقه الرجال يمنع على النساء ويدخل حال النطق به في إطار غير اللائق.

– ما يدور بين المريض وطبيبه من كلمات وعبارات لا يوردها كل منهما في مجالات أخرى.

---

8. **محمد بن سعيد بن إبراهيم الثبيتي: ظاهرة التلطّف في الأساليب العربية، جامعة أم القرى، (ن الكترونية)، ص 6.**
9. **محمود السعران: اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، الاسكندرية، ط2، 1963، ص 132.**
10. **المرجع نفسه، ص 131.**

المحاضرة السادسة:

المسكوكـات اللّغـوية

1. تعريف المسكوكات اللغوية:

تعدّ المسكوكات اللغوية تعبيرات خاصّة أدّى ثبات استعمالها المعنوي واللفظي إلى تصنيفها ضمن (التعبيرات الاصطلاحية)، ومن أشهرها:

- ألفاظ التحية: صباح الخير، مساء الخير، السلام عليكم، تصبح على خير...

- الألفاظ الاجتماعية: سيداتي سادتي، ضيوفنا الكرام، كل عام أنتم بخير، عام سعيد وعمر مديد..

ويطلق بعض الباحثين عديد التسميات على (المسكوكات)، ومن أشهرها: المتلازمات اللغوية، المتصاحبات، المتواردات، الثوابت، المتغيرات، المثل، التعابير السياقية، وغيرها..

و"تجدر الإشارة إلى أن التعابير المسكوكة تمثل نسبة مهمة من الرصيد اللغوي للغات الطبيعية؛ حيث يتعدى عددها عدد الأشكال المسماة بالمنتظمة، في حين درج الباحثون على اعتبارها بنيات استثنائية، كما تمثل نسبة حوالي 40 % من الرصيد اللغوي الذي تتضمنه كفاية المتكلم العربي"[1].

2. خصائص المسكوكات اللغوية:

تتميّز المسكوكات بجملة من الخصائص نلخّصها فيمايلي:

- وحدة دلالية بنيوية مترابطة، لا تقبل أي شكل من أشكال التغيير، من استبدال وتقديم وتأخير وحذف، وذلك حتى تحافظ على معناها الأصلي، ولا يؤدي تغيير المبنى إلى تغيير المعنى.

مثال: بصحة وعافية، على العين والراس، أهلا وسهلا..

- تتألّف المسكوكات في العربية مثلاً من كلمتين أو أكثر، ومنها نذكر: ابن الحرب، طويل اللسان، طويل العمر.. فأمّا ما تألّف من أكثر من كلمتين، فنذكر: طرق كلّ الأبواب.

---

[1]. علي بولعلام: التعابير المسكوكة والمترجمة، دراسة معجمية دلالية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، سايس. فاس، المملكة المغربية، 2017/2016، ص 42.

– ترتبط المسكوكات ارتباطًا وثيقًا بثقافة المتكلمين بها، ولهذا يصعب نقلها وفهمها من قبل غير الناطقين بها، وذلك لأنّها تتجاوز المعنى الصوتي أو المعجمي للكلمات والعبارات إلى المعنى الاصطلاحي المتّفق عليه بين أفراد الجماعة الناطقة بها.

– يعتمد في تحصيل معناها على الأسلوب البياني مثل الاستعارة والتشبيه، ومن ذلك قولهم:

فلان كثير الرماد، أي أنّه رجل كريم.

ورجع فلان بخفي حنين، أي رجع خائبًا[2].

– قد يتأثّر توظيفها باستعمالات اللغات الأجنبية، ومنها قولهم:

اذهب للجحيم .. التي تعتبر ترجمة للعبارة الانجليزية: Go to hell

– قد تتأثّر بعض التعبيرات المعاصرة بالقرآن الكريم، كقولهم:

حصحص الحق، لكلّ أجل كتاب، صبر جميل، والله المستعان..

– قد تتأثّر بعض التعبيرات بالسنة النبوية الشريفة، كقولهم:

الرويبضة، خضراء الدمن..

– قد تتأثّر بعض التعبيرات المعاصرة بالتراث الشعري والنثري العربي، ومنها:

مصائب قوم عند قوم فوائد، لا في العير ولا في النفير..[3].

3. أمثلة من المسكوكات اللغوية:

تحضر هذه التعبيرات المسكوكة بشكل يومي في خطاباتنا المختلفة، باختلاف المتكلمين، وباختلاف انتماءاتهم واهتماماهم، ومن بين النماذج الشهيرة منها، نذكر الآتي:

انكْسر أنفُه = انهزم ؛

---

[2]. **دليلة صاحبي: المسكوكات اللغوية في كتاب سيبويه، بحث ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة تيزي وزو، 2014، ص 11/10.**

[3]. **محمد محمد داود: المعجمات والاستثمار في اللغة العربية، المعجم الموسوعي للتعبير الاصطلاحي في اللغة العربية، ن الكترونية، د.ت، ص 6/5.**

باض النعام على رؤوسهم = عاشوا في رخاء؛

ضرب الدهر بيننا = أفسد ؛

أكل فلان ربْقه = مات ؛

لعِق أصابعه = مات.

وضعت الحرب أوزارها

أتى على الأخضر واليابس؛

رجع بخفي حنين ؛

جاء بالشقر والبقر؛

انتعلت المطي ظلالها؛

ألقى الحبل على الغارب.

ولعلّنا نلاحظ هنا أنّ هذه المسكوكات تتجاوز معناها المعجمي، إذ لا علاقة بين فهمها أو تأويلها ودلالة كلماتها المعجمية. من زاوية أخرى فإنّها لا تقبل أيّ نوع من التغيير سواء في مواقع الكلمات ضمن العبارة أو حتّى باستبدال كلمة بأحد مترادفاتها.